أثـــــر الوقف والابتداء في بيان الخطاب القرآني بين النظرية والتطبيق

أ عبد الملك المختار المقطوف حســـــن ـ قسم اللغة العربية
كلية التربية الزاوية. جامعة الزاوية .

الملخص :

يُسهم الوقف والابتداء في القرآن الكريم بقدر كبير في تبيان خطابه ومعانيه، ولهذا كان اختيار موضوع هذا البحث بعنوان:" أثر الوقف والابتداء في بيان الخطاب القرآني بين النظرية والتطبيق" متناولا دراسته من جانبين أساسيين، أحدهما نظري والآخـــر تطبيقي، وكانت الغاية منه الوقف على الآثار المعنوية والبيانية الملحوظة أثناء أداء الوقف والابتداء عند القراءة، وقد توصل البحث إلى نتائج مهمة، كان من جملتها أن اشتداد تعلّق المعنى بما بعده لم يجز تعمّد الوقف ولو كان ذلك الموضع رأس آيةٍ؛ وذلك للابتعاد عن التباس المعنى أو فساده وقُبحه، وأنّ المواضع التي يرتبط الوقف فيها بعلم النحو كثيرةٌ، ويرجع أصل الخلاف حولها إلى خلافٍ في النحو ومسائله التقديريّة.

المقدمة :

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، والصلاة والسلام على خير البرية والأنام ، وعلى آله وصحبه البررة الأعلام ، وعلى من اقتفى أثرهم واهتدى بنور الإسلام.

أما بعد:

فإن للوقف والابتداء في القرآن الكريم أهمية عظيمة، فهو يسهم بقدر كبير في إيضاح الخطاب الإلهي وتبيانه ؛ لذا اعتنى العلماء المتقدمون بمباحثه منذ وقت مبكر، وقد حضي باهتمام قـــرّاء كتاب الله –عز وجل- إسوةً بعلماء هذا الفن في كل زمن، فهو "حلية التلاوة، وزينة القارئ، وبلاغ التالـــي، وفهم المستمع، وفخر العالم، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين ، والنقيضين المتنافيين، والحكمين المتقاربين"[1] وكونه فنا جليلا به تعرف ـ أيضاً ـ كيفية أداء قراءة كتاب الله ـ عزّ وجل – فتتبيّن معانيه، وتتجلّى مقاصده وفوائده، ومن هنا جاءت فكرة تناول هذا البحث ودراسته بعنوان : " أثر الوقف والابتداء في بيان الخطاب القرآني بين النظريّة والتطبيق" والغاية منه الوقوف على الأثر المعنوي الذي يتبيّن من الوقف والابتداء عند تلاوة النص القرآني ، وذلك بعد التعرّض بالدراسة والبحث إلى مواضع كافية من كتاب الله ـ **عزّ** وجلّ- تتناسب مع حجم وطبيعة هذا البحث؛ ليسهل تعريفها وتقريبها إلى الأذهان.

مشكلة البحث:

تتبلور مشكلة هذا البحث من خلال عنوانه السابق ، وتتمحور حول كيفية تبيان الخطاب القرآني وإيضاحه عند الوقف والابتداء ، ويتمّ ذلك من خلال دراسة جانبين مهمين ، أحدهما جانب نظري تمهيدي ، والجانب الآخر تطبيقي يهتم بالوصف والتحليل لدراسة ظاهرة الوقف والابتداء في القرآن الكريم.

منهج البحث:

للوصول إلى نتائج قد تضفي قيَماً جديدةً في هذا البحث ولتحقيق أهدافه فإنني قد تناولت مادته العلمية وفق إطار منهجين هما المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وأمكنني ذلك من خلال عرض وتطبيق قدرٍ كافٍ لنماذج ونصوص من القرآن الكريم وصفاً وتحليلاً لهذه الظاهرة اللغوية الجميلة ، وذلك بالاستعانة بأقوال وآراء هذا الفن اللطيف، إسوةً بكلام علماء اللغة وفروعها.

خطة البحث:

لقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يُقسّـــم إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ، تضمّنت المقدمة الكلام على أهمية البحث والغاية منه ، وعرْض مشكلة البحث ومنهجه ، ثم الانتهاء إلى خطته هذه : المبحث الأول : أفردته للجانب النظري ، متضمّنا تعريف الوقف والابتداء وأنواعهما، وأهمية علم الوقف والابتداء، والفرق بين الوقف والقطع والسكت عند العلماء، وحكم الوقف على رؤوس الآي ، والمبحث الثاني : خصصته للدراسة التطبيقية، واحتوت الخاتمة على أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول ـ الوقف والابتداء ، وأهمية :

أولا ـ تعريف الوقف والابتداء في اللغـــــــة والاصطـــــلاح :

1ـ **الوقف في اللغـــــــة** : فهو الحبس والكفّ ، يقال: وقفَ الشيءَ ، أي : حبسَه ، ويقال: أوقفتُ الدابـــــة ، أي : كففتُها عن المشي[2] ، وقد ورد في بعض الآيات من القرآن الكريم ما تضمّن هذا المعنى اللغوي لمادة "وقف " وعلى سبيل المثال ما يلي : قوله – تعالى - :(**وَلَوْ تَـــرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَـــى رَبِّهِم**) الأنعام، من الآية:(30) ، قوله – تعالى - :(**وَلَوْ تـــرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ**) سبأ، من الآية:(31) ، قوله- تعالى - :(**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُـــونَ**) الصافات:(24)

2ـ الوقف في الاصطـــــلاح : فقد عرّفـــه ابن الجزري بأنه : " قطع الصوت عند آخـــر كلمةٍ زمناً ليُتنفّس فيه عادةً بنية استئناف القراءة ، إمّا بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله لا بنية الإعراض "[3]

3ـ الابتداء في اللغـــــة : فهو من ابتدأ يبتَدِئ ابتداءً بمعنى الشـــــروع في الشيء أو فعله ، قال ابن فارس : "الباء والدال والهمزة من اقتناء الشـــــيء "[4] ، وقال ابن منظـــــور: " والبدء فعل الشيء أوّلا "[5]

4ـ الاصطلاح فهو : الشـــــروع في القـــــراءة سواءٌ أكان بعد قطعٍ وانصرافٍ عنها أم بعد وقف [6]، لذا ينبّه علماء الوقف على أنّ الابتداء إذا كان بعد قطعٍ فلا بدّ فيه من مراعاة أحكام الاستعاذة والبسملة ، وإذا كان بعد وقفٍ فلا حاجة إلى مراعاة ذلك ؛ لأنّ الوقف إنّما هو للاستراحة والتنفس فقط [7]، وسيأتي الكلام حول الفرق بين الوقف والقطع - بعون الله- .

ثانياً – أنـــــــواع الوقف والابتـــــــــــداء :

ينقسم الوقف في حدّ ذاته إلى أربعة أقسام على وجه العموم ، وهي اختباري لأجل الاختبار والتعلم ، واضطراري وسببه ما يعرض للقارئ من عطاس أو ضيق تنفس أثناء القـــــراءة ، وانتظاري لغرض استيفاء ما في الآية من أوجـــــه الخـــــلاف عند القـــــرّاء ، واختياري وهـــــو ما يقصده القارئ بمحض إرادتـــــه [8]، وهذا النوع الأخـــــير هو ما يهمنا في هذا البحث ؛ إذ تتعلق به أحكام التلاوة وبه يستبين الخطاب القرآني ، ولهذا فسأفرد الكلام حول أنواعه فيما يلي .

أنـــــواع الوقف الاختيـــــــاري : وضع علماء الوقف والابتداء مسمّياتٍ مختلفةٍ لأنواع الوقف الاختياري ، وتباينت وجهات نظرهم حول تعدّد أنواعها ، لذا سأخص بالكلام هنا حول الأقسام المتفق عليها بين جلّ العلماء والقـــــرّاء، فهي عندهم على أربعة أقسام : تامٌّ مختارٌ، وكافٍ جائز، وحسنٌ مفهومٌ ، وقبيحٌ متروكٌ، ويمكن توضيحها في ما يلي :

1ـ **الـوقف التّام :** وهـــــو الذي لا يتعلق بشيء ممّا بعده ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده [9] كالوقف على قولـــــه - تعالى - :(**وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) البقرة:(5) ، ثم يُبـــــدأ بقوله - تعالى - :(**إِنَّ الَّذِيـــنَ كَفَرُواْ**) ، وأكثر المواضـــــع التي يقع فيها الوقف التام هو عند رؤوس الآي - كما اتضح من الآية السابقة - وقد يأتي الوقف التام قبل انتهاء الآية ، كالوقف على قولـــــه - تعالى - :(**وَجَعَلُوا أَعِـــزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّـــــةً**) ،النمل :(34)، وهـــــذا كلام ملكة سبأ، ثم يأتي قوله - تعالى - : (**وكَذَلِكَ يَفْعَلُـــونَ**), وهـــــو رأس آيةٍ.

2ـ **الـــــوقف الكافـــــــــي :** وهـــــو " ما انقطع فـــي اللّفظ وتعلّق في المعنى فيحسُن الوقف عليه والابتداء بما بعده" [10]، كالوقف على آخـــــر قولـــه - تعالى - : (**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ)** النساء:(35)، ثم يبتدأ بما بعدها وهكذا في سائر المعطوفات.

3ـ **الوقف الحســـــــــــن :** " وهو الذي يحســـــن الوقوف عليه ولا يحســـن الابتداء بما بعده ؛ لتعلقه بما بعده فـــي اللفظ والمعنى "[11] كالوقف على (**الْحَمْدُ** لِلّهِ) من قوله - تعالى - : (**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) الفاتحة:(2)، ولكن لا يحسُن الابتداء بما بعده لتعلّقه به لفظاً ومعنىً.

4ـ **الوقف القبيـــــــح :** وهـــو الذي لا يفهم منه المعنى المـــراد فلا يوقف عليه ، ولا على الموصوف من دون الصفة ، ولا على المعطوف من دون المعطوف عليه [12] وهكذا ، ومثال الوقف القبيح أنْ يوقف على قوله - تعالى - **:(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا)** المائدة:(72)، ثمّ يبتدأ بقولـــه - تعالى - :(**إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِـــــيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**) ، فالوقف على هذا وأمثاله أقبح وأشـــنع ؛ وذلك لما فيه من فســـاد المعنى وإرادة معنى غير ما يقصده قائلـــه - سبحانه وتعالى- .

ملحوظتان :

ـ الابتـــــــداء : عند علماء التجويد لا يكون إلاّ اختياريّا ؛ لأنّه ليس كالوقف الذي تدعو إليه الضرورة ، وللابتداء أربعة أقسامٍ متشابهةٍ مع أقسام الوقف، وهي في تفاوتٍ من حيث التمام والكفاية والحسن والقبح فيما بينها.

ـ **إنّ ضابط الوقف والابتداء في القرآن الكريم** ، هـــو: لحظ المعنى ، فهو المبتدأ وإليه المنتهى ، فحيثما كان المعنى مستقيماً جاز الوقف والابتداء ، وحيثما أدّى المعنى إلى فسادٍ وجب منع الوقف والابتداء ، وهكذا.

ثالثاً ــ أهميـــــــــة الوقف والابتـــــــداء : إنّ علم الوقف والابتداء من العلوم القرآنيـــــة التي بها يتمّ تفسير وجوه المعاني وإيضاحها في كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ ؛ إذ المقصود منه بيان مواضع الوقف التي على القارئ أن يقف عندها مراعاةً للمعنى ، فيتوقّف ويبتدئ على حسب ما يقتضيه اللفظ والمعنى ، ويصاحب ذلك تدبّرٌ وتأمّلٌ في المعاني ، فالاهتمام بالوقف يعيـــن على تدبر معاني القـــرآن الكريم وتمعّنها ؛ إذ لا يتبين معنى كلام الله ـ تعالى ـ إلاّ به ، وممّا يستدلّ به علماء الوقف والابتداء على وجوب الاهتمام بهذا العلم قوله - تعالى - : (**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**) المزمل:(4) ، فقد قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : " الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف" [13]، وقد نجد بعض القـــرّاء اليوم يقف قبل تمام المعنى ، فلا يَفهم المراد بقراءته تلك

ولا يُفهِم مَنْ حوله مِن السامعين كذلك ، فيحيد عن إجادة القراءة وتمام تجويدها، وممّا صحّ عن النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنّه سمع خطيباً يخطب بين يديه قائـــلاً : " **مَنْ يُطِـــعِ اللهَ وَرَسُولَـــهُ ، فَقَدْ رَشَـــدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا، فَقَدْ غَـــوَى**" ، ثمّ وقف على " **يعصهما** "، ثمّ قال : " **فقد غوى**"، عندها قال صلّى الله عليه وسلّم:" **بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ** "[14]، وإنما أنكر عليه النبي – صلى الله عليه وسلم - لقبح وقفته تلك ، إذ خلط الإيمان بالكفر في إيجاب الرشد لهما ، وكان حقه أن يقف على قولـــــه " **فَقَدْ غَـــــوَى** " فيستقيم الكـــلام ، وفي هذا دليلٌ صـــريحٌ على وجوب مراعاة الوقف السليم ؛ لأهميته في توطيد علاقة اللفظ بالمعنى وإبـــراز مدى ارتباطهما، وتجنب اختلال المعنى .

رابعاً- الفـــــرق بين الوقف والقطـــــع والســـــكت : تتقارب معاني هذه المفردات المصطلحة في علم الوقف والابتداء تقارباً شديداً ؛ لذا استعملها علماء الوقف والابتداء المتقدمون بمعنىً واحدٍ ولم يفرّقوا بينها ، غير أنّ المتأخرين منهم فطِنوا إلى الاختلاف بينها ، وذلك بعد أن لاحظوا الفـــروق الدقيقة بينها عند الاستعمال ، ومن شواهد استعمال هذه المصطلحات بمعنى واحدٍ عند المتقدمين ما نقله بعضهم عن الشعبي [15] قولـــــــــه : " إذا قرأت (**كُـــلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَـــانٍ**) فلا تسكت حتى تقـــرأ(**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ والْإِكْـــرَامِ**) الرحمن:(27)"[16] فأراد بقوله لا تسكت ، أي : لا تقف ، وهذا ما يدلّ على استعمال السكت والوقف عند الشعبي والمتقدمين بمعنىً واحدٍ، والشواهد على ذلك كثيرة، وأمّا الصحيح فهو استعمال العلماء المتأخّريـــن ، وذلك عندما لاحظوا اختلاف استعمالها عن بعضها، فوضعوا تعريفاً لكلٍّ منها يختلف عن غيره ، وذلك كالآتي:

ـ **الوقف** : هو كما مرّ بنا في التعريف الأوّل ، فهو قطع الصوت عن آخر الكلمة زمناً يسيراً بنية استئناف القراءة، ويكون عند رؤوس الآي وأوسطها[17].

ـ **والقطـــع** : هو عبارة عن قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء منها، فالقارئ عند القطع كأنّه أعرض عن قراءته وانتقل منها إلى حالة أخرى غير قراءته تلك، كالمتوقف على آخر سورةٍ أو حزبٍ أو وردٍ[18]؛ لذا يستعاذ بعده للقراءة المستأنَفة.

ـ **السكت** : هو عبارة عن قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادةً من دون تنفسٍ[19]، مثل السكت في قراءة حفصٍ على (**عِـــوَجاً**) من قوله – تعالى - **:(وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِـــوَجاً قَيّماً) الكهف(1)،(2)** .

والخلاصة أنّ الفـــرق بين الوقف والقطع والسكت عند علماء الوقف والابتداء المتأخرين يتبيّن من كـــون الوقف قطع بنية استئناف القراءة، والقطع إعراضٌ عن القراءة بالكليّة، أمّا السكت فزمنه أقصر من زمن الوقف لكونه من غير تنفس.

خامساً- حكم الوقف على رؤوس الآي : رأس الآية هو آخر كلمة منها، والوقف عليها مثار خلاف بين علماء فنّ الوقف والابتداء ، وقد ذهبت طائفةٌ منهم إلى أنّ الوقف على رؤوس الآي سنّةٌ يجب اتباعها، آخذين بما روي عن أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ حين سئلت عن قـــراءة النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فقالت:**" كانَ يُقطّـــعُ قراءتَـــهُ آيةً آيةً "**[19] فأجازوا الوقف على رؤوس الآي مطلقاً من دون النظر إلى تمام الكلام أو عدمه ، آخذين بنصّ الحديث السابق، قال البيهقي : " ومتابعة السنّة أولى ممّا ذهب إليه بعض أهل العلم بالقرآن من تتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها"[20].

وذهب بعض العلماء إلى جـواز الوقف على رؤوس الآي ما لم يتعلق المعنى بما بعده تعلقاً شديداً، وهنا كان لزاماً عليهم تقييد القول بأنّ الوقوف على رؤوس الآي سنّةٌ إذ لم يُفسِد المعنى ولا يخلّ به، وهذا المستثنى في نظر أكثر القرّاء مستثنىً للضرورة؛ والسبب أنّ من الفواصل ما لا يصحّ الوقف عليها لفساد المعنى ، وهو خلاف ما أمر الله به من التدبّر في كتابه الكريم، وهنا يقول السخاوي[21] وهو أحد أعلام الوقف والابتداء: "إلاّ أنّ من الفواصل ما لا يَحسُن الوقف عليها، كقوله – تعالى- : **(فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ)** الماعـــون:(4) ؛ لأنّ المراد فويلٌ للساهين عن صلاتهم ، وليس الوقف على قوله- تعالى - : **(وَالضُّحَـــــــــى)** الضحى:(1) كالوقف على ما جاء في الحديث"[22]، وقد نبّـــــه العلماء على عدم جـــــــواز الوقف على كثيرٍ من المواضع وهي رؤوس آيٍ تفادياً لفساد المعنى عند الوصل.

وممّا مضى يمكن القول أنه إذا اشتدّ تعلّق المعنى بما بعده لم يجـــز تعمّد الوقف ولو كان ذلك الموضع رأس آيةٍ ؛ وذلك للابتعاد عن التباس المعنى أو فساده وقُبحه، وهذا هو المختار من المذهبين السابقين، وقد اختار كثيرٌ من علماء الوقف والابتداء تبيين معاني خطاب الله - عزّ وجلّ- ومقاصده عند قـــــــراءة القرآن الكريـــم، وجعلوا الوقف منبّهاً على المعنى ومفصّلاً بعضه على بعض.

المبحث الثانـــــــــــي - دراسة تطبيقيّـــة:

علاقـــــة علم النحو بعلم الوقف والابتـــداء :

يُعرَف علم الوقف والابتداء بمعرفة دلالة الكلام وتمامه ، وهذا لا يتأتّى إلا بالاطلاع على علوم اللغة العربيّة المتنوّعة بما فيها علم النحو والتضلّع فيها ، والقارئ الجيّد المتقن لعلم الوقف والابتداء لابدّ أن يكون قد تعرّف على الإعـــراب النحوي ومسائله التقديريّة، وهو ما يعينه على معرفة تمام الكلام، فيقف ويبتدئ بمهارة ، نقل جلال الدين السيوطيّ عن ابن مجاهد قوله : " لا يقوم بالتمام إلاّ نحـويّ عالمٌ بالقراءة، عالمٌ بالقصص وتخليص بعضها عن بعض، عالمٌ باللّغة التي نزل بها القـــرآن"[23].

وتتضح علاقة النحـــو بالوقف والابتداء أكثر عنـــد الوقـــوف على بعض الأمثلة التي تغيّرت معانيها الإعرابيّة باختلاف الوقف عليها ، وذلك نحو قوله – تعالى - :(**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)** المائدة:(26)، فلو كان الوقف على (**سَـــــنَةً**) دلّ المعنى على أنّها محرمةٌ عليهم مدّة أربعين سنةً ، وإذا كان الوقف على (**عليـــــهم**) تغير المعنى فصار التحريم أبداً، وأنّ التيْه أربعين سنةً في الأرض[24]، وكذا الوقف على قوله - تعالى - :(**مِّلَّةَ أَبِيـــــكُمْ إِبْرَاهِيـــــمَ**) الحج:(78) ، فمن جعل النصب في (**إِبْرَاهِيـــمَ)** على الإغـــراء وقف على ما قبله، أمّا إذا أُعمِل فيه ما قبله فلا يقف.

وهكذا فإنّ المواضع التي يرتبط الوقف فيها بعلم النحو كثيرةٌ ، ويرجع أصل الخلاف حولها إلى خلافٍ في النحو ومسائله التقديريّة وكيفية إعراب الجملة محلّ الوقف والابتداء ؛ لتبرز الحاجة إلى أنْ يهتم القارئ عند الوقف والابتداء بعلم النحو؛ فيمكّنه ذلك من الوقوف على تمام المعنى، ومن لم يكن نحوياً كيف له أن يميز المبتدأ من الخبر وأشباه الجمل والتوابع وغيرها من المسائل النحويّة ليعرف من أين يقف ومن أين يبتدئ؟ وفي هذا المبحث التطبيقي كثيرٌ من الأمثلة التي سأتناولها تجسد علاقة علم النحو بعلم الوقف والابتداء من حيث الإعراب والمعنى بعون الله- تعالى- .

أوّلاً- الـــــوقف علـــــى (نعـــــــم) و(كـــــلاّ) و(بلـــــى) : وهي أدوات جواب ، يختلف الوقف عليها بحسب تعلّقها بما قبلها أو بما بعدها وذلك على النحو الآتـــــــــــي :

أ-الوقف علـــــــــى (نعـــــــــم) : وردتْ كلمة (نعم) في القرآن الكريم في أربعة مواضع ، وضابط الوقف عليها أو الابتداء بما بعدها أنّه إذا جاءت بعدها واو لم يجز الوقف عليها ، أمّا إذا لم تأت الواو بعدها فالوقف عليها جائز ومختار، وذلك

راجـــع إلى أنّ ما قبل (نعم) لا يتعلّق بما بعـــدها ، والموضع الوحيد التي جاز الوقف فيه على نعم قوله - تعالى - (**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَـــمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)** الأعراف :(44)' فالوقف في الآية السابقة على (**نعـــم**) ؛ لأنّ الكلام قبلها لا يتعلّق بما بعدها وقول الكفّار قد انتهى بـ : (**نعـــــــــم**)[26]، أمّا المواضع الثلاثة الأخـــــرى فقد وردت فيها نعم متعلقةً بما بعدها ؛ لذا لم يجز الوقف عليها، وذلك كما يلي قوله - تعالى - :(**قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**) الأعراف(114، و قوله - تعالى - : (**قُلْ نَعَـــمْ وَأَنتُمْ دَاخِـــرُونَ**) الصافات : (18) ، وقوله – تعالى- : (**قَالَ نَعَـــمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِـــنَ الْمُقَرَّبِينَ**) الشعراء :(42)

ب ــ الـــوقف علـــى (بلى) : حرف (بلى) يعتبر من أحرف الجواب التي يجاب بها عن الكلام الذي قبلها، وتنقسم أحـــوال الوقف عليها إلى ثلاثة أقسام على نحو ما يلي:

القســـــــــم الأوّل ـ لا يجوز الوقف عليها إجماعا ، وذلك لتعلّق ما بعدها بما قبلها، وهو ما ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع كالآتي : قوله – تعالى - : (**قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا**) الأنعام :(30)، قوله – تعالى - :(**وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً**) النحل:(38) ، وقوله – تعالى - : (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ)** سبأ:(3) قوله- تعالى- : **(بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**) الزمر:(59) ، وقوله - تعالى- :**(أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا)** الأحقاف:(34) ، قوله – تعالى- :(**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ)** التغابن: (7) ، قوله – تعالى - :**(بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ**) القيامة:(4)

القســـــم الثانـــي : ما ورد حوله خلاف والمختار المنـــــع ، وذلك في خمسة مواضع نحو الآتي : قوله – تعالى - :(**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)** البقرة:(260) ، وقولـــــه – تعالى - :(**قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ)** الزمر:(71) ، وقولـــــه - تعالى-: (**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْـــمَعُ سِـــرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**) الزخرف: (80) ، قوله – تعالى - :(**يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ)** الحديد:(14) قوله - تعالى - :(**قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ)** الملك:(9)

القســـــــــم الثالث ـ ما يجـــــــوز الوقف عليـــــــه ، وهو ما ورد في عشـــــرة مواضع من القرآن الكريـــــم ، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: قوله – تعالى - :(**قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا**

لاَ تَعْلَمُونَ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً) ، البقرة: (80-81) ، قوله – تعالى - :(**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)** البقرة(111-112)) ، قولـــــــــه – تعالى - :(**وَإِذْ أَخَـــذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُـــواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)** الأعـــــراف:(172)

ج ـ الـــــوقف على (كـــــــلّا) : (كـــلّا) كلمةٌ لها عدة معاني مختلفة ، فهي حرف بمعنى: الردع والزجر عند سيبويه وبعض البصريين، وتأتي بمعنى : حقًّا وألاَ الاستفتاحيّة ، كما ذكر بعض العلماء أنّها تأتي بمعنى : (أيْ نعـــــم)، ونظراً إلى اختلاف معانيها فقد اختلف علماء الوقف والابتداء في مواضعها – أيضاً- ، لذا قسّمها الزركشـــــــيّ من حيث الوقف عليها والابتداء بها إلـــى ثلاثة أقسام :

أحدها ـ ما يجوز الوقف عليها والابتداء بما بعدها باعتبار معنيين.

الثاني ـ ما لا يوقف عليه ولا يبتدأ به.

الثالث ـ ما يبتدأ به ولا يجوز الوقف عليه[27].

ولم ترد (كلّا) في القرآن الكريم إلاّ في النصف الثاني منه ، ولعلّني أسير في هذا البحث وفق ما قسّمه الزركشيّ، وذلك نحو الآتي :

1 ـ ما يجوز الوقف عليها والابتداء بما بعدها باعتبار معنيين : تأتي (كلّا) بمعنى الردع والزجر أو بمعنى حقًّا، وبحسب ورودها في بعض المواضع من القرآن الكريم يجوز الوقوف عليها كونها حرفا بمعنى الردع والزجر وهذا بحسب المعنى الأول، ويمتنع الوقف عليها باعتبار المعنى الثاني وهو مجيؤها بمعنى (حقّاً) متعلقةً بما بعدها، ولعلّ من تلك المواضع قوله – تعالى- :(**أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً)** مريم:(78)،(79) تحتمل(كلّا) في هذه الآية المعنيين السابقين

الأوّل : كونها حرف زجـــر وردع للكافر الذي تفـــوّه بتلك المقالة النكراء ، فيجوز الوقف عليها على أنّ الكلام الذي بعدها مستأنفٌ ولا يتعلق بها .

الثاني : أن تكون بمعنى حقّا فلا يجوز الوقف عليه لتعلّقها بما بعدها ، والمعنى حقّا سنكتب ما يقول[28].

وهناك أمثلةٌ أخرى في كتاب الله العزيز تستحق التأمّل والتدبّر أذكر منها ما يأتي :

قوله - تعالى - (**قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاء كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) سبأ:(27) ، قوله - تعالى - : (**أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ**) المعارج:(38)،(39).

2 ـ ما لا يوقَف عليه ولا يُبتدأ به : ولم يرد من هذا القسم في القرآن الكريم إلا موضعان ، وهما: قوله - تعالى - : (**ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ**) النبأ:(4) قوله - تعالى- :(**ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**) التكاثر:(4) ، وكما لم يذكر العلماء الوقف على (**كلّا**) في هذين الموضعين لكونه لا يجب الوقف على (**كلّا**) ؛ لما فيه من وعيدٍ وتهديدٍ ووقوع العلم ، ولا بحسب الابتداء- أيضا - ؛ لأنها إمّا عاطفة أو تكراراً أو توكيداً.

3- ما يبتدأ به ولا يجوز الوقف عليه : وقد ورد في عدّة مواضع من كتاب الله العزيز، ولعلّ منها ما يلي : قوله - تعالى - : (**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ كَلَّا وَالْقَمَرِ**) المدثر: (32)-(31). قوله - تعالى - : (**يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ**) القيامة :(10). قوله - تعالى- : {**ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ** } عبس (22)،(23).

ثانيا ـ الوقف على أسماء الإشارة والأسماء الموصولة: يختلف الوقف عل كل من أسماء الإشارة والأسماء الموصولة بحسب مواضعها، وذلك راجع إلى طبيعة المعنى النحوي التي تمتاز به أسماء الإشارة المبهمة عن الأسماء الموصولة مثلاً وهي المفتقرة إلى الصلة، ويمكن أن نتناول بالبحث كلا منها على حد سواء ، وذلك على النحو الآتي:

الوقف على أسماء الإشارة : وهي أسماء موغلةٌ في الإبهام ، وقد ذكرت في موضع كثيرة من القرآن الكريم، ولهذا يمكن لي أتناول بعضها بحسب تقسيم مفرداتها كما يلي :

(**ذَلِكَ**) كقوله- تعالى - : (**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ**) الحج:(30) ، ففي هذه الآية الكريمة ذكر علماء التفسير عدة معانٍ لاسم الإشارة (**ذَلِكَ**) جلها تفيد جواز الوقف عليه، ومن تلك المعاني ما يلي :

أ - أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره الشأن أو الأمر كذلك[29].

ب – أن يكون مبتدأً خبره محذوف، والمعنى ذلك بيانٌ[30].

ج – أن يكون في محل نصب بفعل محذوف وتقديره أي: امتثلوا ذلك[31].

وإضافةً إلى ما ســـــبق فإن الوقف على (**ذَلِكَ**) ، يُعدّ وقفا تامًّا كافياً كما يرى الأشمونـــــي [32]، ومن مثيلات هذه الآية الوقف على اسم الإشارة (**ذَلِكَ**) - أيضا - ، كما في قوله - تعالى - :(**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّـــــمْ شَعَائِـــــرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**) **الحج: (32)** ، فالوقف على اسم الإشارة جائـــــز محتملٌ نفس المعاني التي ذكرناها في الآية السابقة ، كما أن المختار أن يكون نوع الوقف كافيا- أيضاً - [33]، (**كذَلِكَ**) ، وقد ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم ، وكلها لم يجوّز العلماء الوقف عليها إلا في آيتين :

أولهما - قوله - تعالـــــى - : (**كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً**) **الكهف: 91**، فالوقف علـــــى (**كذَلِكَ**) ، وقف تامّ وهو المختار، والسبب راجع إلى تعلّـــــق (**كَذَلِكَ**) بما ســـــبق، ولأجل كون الجملة استئنافية [34].

الآية الثانية - قوله - تعالى - : (**وَمِـــــنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَـــــى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيـــــزٌ غَفُـــــورٌ**) **فاطر:(28)**، فتعلق اسم الإشارة (**كذَلِكَ**) بما قبله أجـــــاز الوقف عليه وقفا تامًّا، وهـــــو ما اتفق على اختياره علماء الوقف والابتداء- أيضًا - [35].

(**هَـــــذَا**) وقد ورد في ما يزيد عن مائة وثمانين موضعاً من القرآن الكريم ، ولا يوقف عليها إلا في موضعين أيضاً - وهو ما يراه علماء الوقف والابتداء - ولعلّ منهما قوله - تعالى - :(**هَـــــذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَـــــرَّ مَآبٍ**) **سورة ص:(55)**، ومن حيث الإعراب فإنّ اســـــم الإشارة هذا يحتمل أوجهاً إعرابيةً عديدةً ، منها أنْ يكون اسم الإشارة خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير أي : الأمـــــر هذا، ومنها أنْ يكون مبتدأً وخبره محذوف - كما يرى الزمخشـــــريّ[36] - وتقديـــــره : هذا كما ذكـــــر، وفي كل ذلك فإن نوع الوقف على اسم الإشـــــارة لا يكون إلا كافياً؛ كـــــون اسم الإشارة متعلقا بما قبله وجملة (**وَإِنَّ لِلطَّاغِـــــينَ لَشَـــــرَّ مَآبٍ**) مستأنفةٌ، والواو التي قبلها واو استئنافٍ، وكقوله - تعالى - : (**هَـــــذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ**) **سورة ص:(57)** فقد ذهب بعض المفســـــرين إلى أنّ (**هَـــــذَا**) في الآية الكريمة يحتمل وجهين إعرابيين بمعرفتهما يتعيّن الوقف عليه وعدمه:

أحدهما - أن يكون في محلّ رفع خبر لمبتدأ محذوف وخبره إمّا (**حميمٌ**) وإمّا (**فليذوقوهُ**) وحينئذٍ لا يجوز الوقف على هذا لئلّا يفصل بين المبتدأ والخبر[37].

الثاني – أن يكون اسم الإشارة في محلّ رفع خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: أي : الأمر هذا ، وعلى هذا يجوز الوقف عليه لتمام الكلام، كون اسم الإشارة متعلّقا بما قبله، فهو خبرٌ لمبتدأ محذوف قبله [38].

ـ الوقف على الأسماء الموصولـــــــــة : يرى علماء الوقف أنّ كلّ ما ورد في القرآن الكريم من (الذي) و (الذين) يجـــوز فيه الوصل بما قبله على أنه نعت، ويجوز فيه الوقف كونه خبراً لمبتدأ[39]، وقد استثنوا من ذلك سبعة مواضع ، فإنّ الابتداء بها هو المتعيّن ، وهذه المواضع يمكن أنْ أوردها فيما يلي : قوله ـ تعالى- :(**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ**) البقرة:(121) قوله- تعالى - :(**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ)** البقرة:(146) قوله ـ تعالى - :(**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**}**البقرة:(275)** قوله ـ تعالى - : (**الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَـــبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَـــمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**) التوبة:(20) قوله ـ تعالى - : (**الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَـــرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً** }**الفرقان:(34)** قوله ـ تعالى - :(**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِـــهِ**) غافر:(7)

وإنّما لم يستحسن الوقف على الأسماء الموصولة من الآيات السابقة حتى لا يلتبس المعنى ويظهر فساده، يقول الأشموني : "لا يجوز وصلها بما قبلها حتى لا يُقَع في محظور"[40] غير أن بعض العلماء استثنى من المواضع السابقة قوله – تعالى - :(**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**) الناس:(5) ، فلِلقارئ أنْ يقف على الموصوف ويبتدئ بالذي إذا حُمِل على القطع بخلاف ما إذا جعل صفة، وهو ما استحسنه الزمخشري ورجّحه[41].

الخاتمة

وبعد، فقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

1ـ إنّ الفرق بين الوقف والقطع والسكت عند علماء الوقف والابتداء المتأخرين يتبيّن من كـــون الوقف قطع بنية استئناف القراءة ، والقطع إعراضٌ عن القراءة بالكليّة، أمّا السكت فزمنه أقصر من زمن الوقف لكونه من غير تنفس.

2ـ إذا اشتدّ تعلّق المعنى بما بعده لم يجز تعمّد الوقف ولو كان ذلك الموضع رأس آيةٍ؛ وذلك للابتعاد عن التباس المعنى أو فساده وقُبحه .

3- وقد اختار كثيرٌ من علماء الوقف والابتداء تبيين معاني خطاب الله - عزّ وجلّ - ومقاصده عند قراءة القرآن الكريم، وجعلوا الوقف منبّهاً على المعنى ومفصّلاً بعضه على بعض

4- إنّ المواضع التي يرتبط الوقف فيها بعلم النحو كثيرةٌ، ويرجع أصل الخلاف حولها إلى خلافٍ في النحو ومسائله التقديريّة وكيفية إعراب الجملة محلّ الوقف والابتداء؛ لتبرز الحاجة إلى أنْ يهتم القارئ عند الوقف والابتداء بعلم النحو؛ فيمكّنه ذلك من الوقوف على تمام المعنى وبيانه.

5- إن عدم معرفة القارئ لضوابط الوقف والابتداء وأحكامه قد يؤدي به الوقف على مواضع يتغير فيها المعنى، فيبتعد عن المقصد الإلهي، وقد ينقلب المعنى عند الوقوف على بعض المواضع غير الجائزة.

وأسأل الله القبول والرشاد في الفكر والقول والعمل.

الهوامـــــــش :

1. ينظر لطائف الإشارات في فنون القراءات، أحمد بن محمد القسطلاني:249/1،مركز الدراسات القرآنية.
2. ينظر مقاييس اللغة، أحمد بن فارس:135/6،دار الفكر، بيروت، مادة (وقف)
3. النشر في القراءات العشر،ابن الجزري:264/1،دار الكتب العلمية، بيروت.
4. مقاييس اللغة:12/1.
5. لسان العرب، جمال الدين بن منظور:477/6،دار صادر،بيروت،ط1997،1م.
6. ينظر غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر:223/1،القاهرة،ط7.
7. المصدر السابق:223/1.
8. ينظر الوقف والابتداء بين النظرية والتطبيق، أبو عبد العزيز خالد طاهر: ص 29.
9. ينظر البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي:350/1،تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت،1391.
10. المصدر السابق:351/1،والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي:282/1، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ط 1974.
11. ينظر غاية المريد في علم التجويد: ص 225.
12. ينظر الإتقان في علوم القرآن:286/1.
13. المصدر السابق:221/1.
14. ينظر المصدر السابق:283/1.
15. الشعبي هو عامر بن شرحبيل الهمداني والمعروف بالإمام الشعبي، تابعي وفقيه ومحدث، ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي سنة 103 هـ.
16. الإتقان في علوم القرآن:83/1.
17. ينظر ص: 4 من هذا البحث.
18. ينظر : الإتقان في علوم القرآن: 88.
19. البرهان في علوم القرآن:71/1.
20. شعب الإيمان، أبوبكر أحمد البيهقي:521/2،دار الكتب العلمية، بيروت.
21. السخاوي هو علم الدين بن محمد السخاوي الشافعي، عرف بشيخ القراء، ولد سنة 585هـ بسخا في مصر، وتوفي سنة 643هـ.
22. جمال القرّاء وكمال الإقراء، أبو الحسن علي بن محمد السخاوي:553/2،مكتبة التراث، مكة المكرمة،ط1-1992م.
23. الإتقان في علوم القرآن:296/1.
24. ينظر المصدر السابق:297.
25. ينظر البرهان في علوم القرآن:344/1.
26. ينظر الوقف والابتداء بين النظرية والتطبيق:ص73.
27. ينظر البرهان في علوم القرآن:347/1.
28. ينظر المصدر السابق:347/1
29. ينظر الكشاف، أبو القاسم الزمخشريّ:117/3،تح أبو عبد الله الداني، دار الكتاب العربي،بيروت،ط1 - 2006.
30. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور:188/17،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت،ط1- 2000.
31. ينظر الجامع لأحكام القرآ ن، أبو عبد الله القرطبي:58/12،دار الحديث،القاهرة،ط2-1996م.
32. ينظر منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن محمد الأشموني:ص 515،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1-2002م.
33. ينظر المصدر السابق:ص516.
34. ينظر الوقف القرآني وأثره في التفسير، منصوري توفيق:ص 229،رسالة ماجستير، جامعة وهران،الجزائر،2007.

35. ينظر المصدر السابق:ص231.
36. ينظر الكشاف:75/4.
37. ينظر الجامع لأحكام القرآن:211/15.
38. ينظر المصدر السابق:211/15.
39. ينظر البرهان في علوم القرآن:357/1.
40. ينظر منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: ص19.
41. ينظر الكشاف:823/4.